

# أكبر أسواق السودان وأعرقتها تقاوم الاندثار

## أم درمان سوق تجمع زائريها بالتراث السوداني



قرنان من الثبات



لا مكان للمنتجات الأجنبية

ويشهد السودان تطورات متسارعة ومتشعبة، ضمن أزمة الحكم، منذ أن عزلت قيادة الجيش عمر البشير من الرئاسة، في 11 أبريل الماضي، تحت وطأة احتجاجات شعبية بدأت أواخر العام الماضي، تنديدا بتردي الأوضاع الاقتصادية.

ولا تزال أكبر أسواق العاصمة السودانية الخرطوم تقاوم الاندثار، فلا تتأثر بالزمن ولا بالشوكة ولا باندلاع الحريق الذي تسبب في دمار هائل للمحال التجارية، في ديسمبر الماضي.

والإهمال في الفترة الماضية، لكن أصبح التجار القادمون من الولايات يأتون إلى سوق أم درمان لشراء الجلود لصناعة «المراكيب» (أحذية محلية الصنع)، لأنها تبقى لفترة أطول، أكثر من الأحذية المصنوعة من البلاستيك.

وأضاف مبارك «بعد ثورة ديسمبر ازدادت حركة طلاب الجامعات الذين يأتون إلى السوق لشراء الجلود بغرض صناعة الحقايب الجلدية والإكسسوارات، لإقامة مشاريع صغيرة من أجل الكسب المادي».

وتتوقع وزارة السياحة أن يتضاعف الرقم إلى مليوني سائح خلال العام الحالي، بعد توقيعها لاتفاق مع بكين، في نوفمبر الماضي، يسهل دخول مليون سائح صيني سنويا.

وفقدت البلاد 80 بالمائة من مصادر العملات الصعبة، عندما انفصل جنوب السودان، مستحوذا على ثلاثة أرباع حقول النفط، كانت تدر أكثر من 50 بالمائة من الإيرادات العامة.

وأكد التاجر محمد نادر مبارك أن سوق الجلود، كانت تشكو التهميش

وعندما يقصدها الزبون صباحا أو مساء، يجد كل ما يحتاجه، وتفوح من أزقتها الضيقة رائحة عبق الماضي قبل ابخرة العطارين الفواحة، بينما ترفرف روح العصر قبل أجنحة طيور الزينة.

وعلى الرغم من أن السوق كلما زادت عمرها ازدادت حيويتها ورويقها وبهاؤها، فإنها تأثرت سلبا وإيجابا بثورة ديسمبر من العام الماضي، التي أنهت حكما للرئيس المعزول عمر البشير وقد امتد لـ 30 سنة، خاصة من الناحية الاقتصادية، وارتفاع معدلات التضخم، وغلاء الأسعار، وحركة السياح الأجانب.

وقال التاجر الفاتح إبراهيم السيد، إن «سوق أم درمان، شهدت ركودا شديدا بعد ثورة ديسمبر من العام الماضي، لتصاعد معدلات التضخم، وعدم استقرار الأسعار».

وأشار السيد إلى أنه لم يعد مطمئنا من ناحية البيع والشراء. وأضاف «الحكومة الانتقالية الجديدة وعدتنا بالتغيير، ونطمح في تحقيق الأمن الاقتصادي والغذائي، وعودة الرخاء إلى الحياة العامة».

وتصاعد معدل التضخم السنوي في السودان إلى 60.67 بالمائة خلال نوفمبر الماضي، مقابل 57.70 بالمائة في أكتوبر الأول 2019، بالإضافة إلى ارتفاع معدل التضخم في المناطق الريفية، إلى 63.40 بالمائة في نوفمبر مقابل 58.73 بالمائة في أكتوبر.

وتستهدف الموازنة السودانية، للعام الجاري، إبقاء معدل التضخم في حدود 27 بالمائة، مع معدل نمو 5.1 بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي، مقارنة بـ 4 بالمائة في 2018.

ويعاني السودان من أزمات متجددة في الخبز والطحين والوقود وغاز الطهي، نتيجة ارتفاع سعر الدولار مقابل الجنيه في الأسواق الموازية (غير الرسمية)، إلى أرقام قياسية مقابل الدولار الواحد.

إلا أن التاجر محمد الطيب، يرى أن الحركة في سوق أم درمان أحسن حالا من الفترة الماضية، لانتعاشها بصورة كبيرة بسبب زيادة حركة السياح الأجانب.

وشدد الطيب على ضرورة تطوير السياحة والآثار في البلاد، وتنظيم المعالم السياحية باعتبارها تعكس وجه السودان في تقدمه وتطوره، خاصة وأن السياحة ثروة قومية.

وبلغت عائدات السياحة في السودان 1.5 مليار دولار خلال العام الماضي 2016، ومن المتوقع أن تصل إلى 5 مليارات دولار عقب انتهاء الخطة الخمسية في 2020، وهو رقم يعادل أكثر من ثلث إيرادات الموازنة العامة، البالغة نحو 14 مليار دولار، للعام الحالي.

رغم مرور قرنين من الزمن، فإن سوق أم درمان أكبر أسواق الخرطوم وأعرقتها لا تزال تقاوم الاندثار، وتتمرد على الحداثة وغلاء الأسعار وإغراق المحلات بالمنتجات المستوردة، محتفظة بين جوانبها بتراث سوداني يكشف عن امتزاج عرقي وديني، يستقطب السياح.

ولكن الحرفيين يقاومون تغيرات الزمن بإصرار، وذلك بتصنيع الأحذية من جلود الأبقار ثم يرسمون عليها نقاط سوداء ليصبح مظهرها مشابها لجلد النمر، فهذه «المراكيب» أو الأحذية التي تعرف بجلد النمر ما زال يقبل على ارتدائها كبار التجار.

وقامت العديد من المنظمات في محاولة لحفظ هذا التراث المهني العريق بتدريب مواهب جديدة تسير على نهج الأقدمين، فهذا المجال يشكل جزءا مهما من التراث الفني السوداني، الذي تشكل منتجاته رافدا للمحلات الكبيرة وفنادق الخمس نجوم بالعاصمة السودانية وسوقا رائجة هدفها الأول جذب السياح.

أما الباعة المتجولون فيرفصون بضاعتهم المختلفة من ملابس وأدوات مطبخ وأحذية، التي تغلب عليها علامة «صنع في الصين»، وبأسعار زهيدة، حيث يعرضونها على الأرض ويتغنون بصوت عال يصاحبه التصفيق.

ويكون الباعة بذلك فرقا غنائية لها فنان وكورس في تنسيق تام وأحيانا يصاحبها الطبل مما يجعل المارة يتجهون لا شعوريا نحو هذا الطرب، وحين يبلغ منهم الجهد بعد ساعات طويلة من الوقوف يجلسون ويفتحون جهاز تسجيل بالقرب منهم، ليحل محلهم في دعوة المارة.

كما تنتشر بالسوق، بائعات الشاي والقهوة، اللاتي يضعن المواقد حوثن ناشرين أمامهن مقاعد قصيرة، بينما لا يزال «القهوجي» يحتل حيزه من المشهد، فهو متمسك بتقاليدته في حمل الأواني الدائرية وعليها الفناجين البيضاء، وتراه يمشي الهينا ذهابا وإيابا منتقلا بين الدكاكين الصغيرة والمارة، لتوزيع القهوة، واستلام الأموال عند نهاية عمله.

وتلفت سوق الحرفيين القديمة التي يتوارث أصحابها مهارات التصنيع الانتباه بمجرد الانعطاف إلى الأزقة الضيقة، حيث يبدو الحرفي جالسا على الأرض، هادئا لا يصدر صوتا ولا يابه بحركة المارة، ولا يُسمع فيها سوى الهدير الواهن لماكينات الخياطة قديمة الطراز.

ويجلس الحرفيون مستغرقين في صناعة الأحذية والأحزمة والحقايب الجلدية المصنوعة من جلود التماسيح والثعابين الكبيرة وجلود الأغنام، وترى آخرين يعملون بنشاط حديث في صناعة المنحوتات الخشبية والأواني الفضية.

ومع ذلك أصبحت هذه السوق مهددة بالانقراض بسبب تغير الأنواع التي باتت تفضل الأحذية الإيطالية والسورية، وكذلك بسبب القوانين المتشددة في صيد التماسيح والثعابين التي يتهددها الانقراض، كما أن الأواني الفضية والخزفية صارت تستجلب من الصين.

وما زالت سوق أم درمان مع انتشار المحلات العصرية والمباني الشاهقة، والمولات في جميع أنحاء العاصمة الخرطوم، محتفظة بكنهها التراثية، وبماضيها القديم في صناعة المنتجات المحلية، وشكل عرض السلع والمحلات القديمة، والباعة يقومون بعملهم في خدمة الزبائن بالجلابيب السودانية التقليدية.

وظلت السوق القديمة، تقاوم الحداثة باستمرار، لكنها متجددة بذوق وفن ومهارة الحرفيين بدخلها،

# السياح الصينيون ينعمون الحياة في خان الخليبي بعد سبات وركود

للتواصل مع السياح الصينيين بسلاسة ويسر، وأشار فتحي إلى أنه «منذ بضعة أشهر، لم يكن أحد من العاملين في خان الخليبي يتحدث بالصينية، لكن الآن معظمنا يستطيع التواصل مع الصينيين بشكل جيد».

**أصحاب المحلات والباعة في سوق خان الخليبي يحاولون تعلم اللغة الصينية للتواصل مع السياح الصينيين بسلاسة ويسر**

وكان المستشار الثقافي الصيني بالقاهرة شي يوه وبين قال في تصريحه، مؤخرا، لـ «شينخوا»، إنه «وفقا لإحصائيات صينية دقيقة فقد زار أكثر من نصف مليون سائح صيني مصر خلال العام الماضي»، وتوقع أن يزداد هذا العدد في العام الحالي مع استقرار الوضع في مصر.

وأضاف المستشار الصيني أن أبرز المقاصد السياحية التي يزورها السياح الصينيون في مصر، هي «أهرامات الجيزة، ولقصر، واسوان، والإسكندرية، وكذلك الغردقة وشرم الشيخ».

رائع تجاه القطع الأثرية والمصنوعات اليدوية المصرية».

ويضفي لمعان الذهب والمصنوعات اليدوية المتكونة من الزجاج جمالا على السوق القديمة الساحرة، ويجذب انتباه الزائرين إليها، كما تملأ محلات السجاد وأزياء الرقص الشرقي والتحف المصنوعة يدويا أزقة الحي التجاري التاريخي.

ولا تزال السوق تحتفظ بطابعها الإسلامي القديم مع وجود عشرات المباني والمساجد القديمة والفنادق في جميع أنحاء الحي التجاري.

ويوجد بالإضافة إلى المحلات التجارية، العديد من المقاهي والمطاعم ومن بائعي الطعام المتجولين في جميع أنحاء السوق لخدمة السياح أثناء أو بعد التسوق.

وقال عادل فتحي، وهو نادل في أحد المطاعم التي تقدم المأكولات المصرية، إن السياح الصينيين زوار دائمون للمطاعم والمقاهي في خان الخليبي.

وأكد أن الشعب الصيني لديه شغف لمعرفة المزيد عن الثقافة المصرية بما في ذلك الطعام، وتابع «إنهم يطلبون العديد من أنواع الطعام المصري، ويتفاوضون عند دفع الحساب مثل الكثير من السياح الأجانب».

ويحاول معظم أصحاب المحلات في سوق خان الخليبي تعلم اللغة الصينية

أن الصينيين لا يأتون فقط إلى السوق للحصول على المعرفة التاريخية، لكن أيضا للشراء.

وأشار إلى أن السائح الصيني مقارنة بمعظم السياح الأجانب ينفق بشكل جيد خلال التسوق، مضيفا أن «السياح الصينيين يتمتعون بذوق



الصينيون لا يكتفون بالمشاهدة

إلى أنه سيتم تنفيذ حملة ترويجية في السوق الصينية «المهمة والواعدة» للمقاصد السياحية المصرية.

ويعتقد جمال أن جهود الحكومة لجذب السياح الصينيين تعمل بشكل جيد، لأن عدد الزوار الصينيين لخان الخليبي يتزايد بشكل ملحوظ، مؤكدا

لاقتصاد البلاد، بعد اندلاع ثورة 25 يناير 2011، بسبب اضطراب الوضع السياسي والأمني.

وكانت وزيرة السياحة المصرية، رانيا المشاط، قد أكدت في نوفمبر الماضي أن بلادها تسعى لجذب المزيد من السياح الصينيين إلى مصر، مشيرة

إلى أنه سيتم تنفيذ حملة ترويجية في السوق الصينية «المهمة والواعدة» للمقاصد السياحية المصرية.

ويعتقد جمال أن جهود الحكومة لجذب السياح الصينيين تعمل بشكل جيد، لأن عدد الزوار الصينيين لخان الخليبي يتزايد بشكل ملحوظ، مؤكدا

لأقتصاد البلاد، بعد اندلاع ثورة 25 يناير 2011، بسبب اضطراب الوضع السياسي والأمني.

وكانت وزيرة السياحة المصرية، رانيا المشاط، قد أكدت في نوفمبر الماضي أن بلادها تسعى لجذب المزيد من السياح الصينيين إلى مصر، مشيرة

إلى أنه سيتم تنفيذ حملة ترويجية في السوق الصينية «المهمة والواعدة» للمقاصد السياحية المصرية.

ويعتقد جمال أن جهود الحكومة لجذب السياح الصينيين تعمل بشكل جيد، لأن عدد الزوار الصينيين لخان الخليبي يتزايد بشكل ملحوظ، مؤكدا

لأقتصاد البلاد، بعد اندلاع ثورة 25 يناير 2011، بسبب اضطراب الوضع السياسي والأمني.

وكانت وزيرة السياحة المصرية، رانيا المشاط، قد أكدت في نوفمبر الماضي أن بلادها تسعى لجذب المزيد من السياح الصينيين إلى مصر، مشيرة

إلى أنه سيتم تنفيذ حملة ترويجية في السوق الصينية «المهمة والواعدة» للمقاصد السياحية المصرية.

ويعتقد جمال أن جهود الحكومة لجذب السياح الصينيين تعمل بشكل جيد، لأن عدد الزوار الصينيين لخان الخليبي يتزايد بشكل ملحوظ، مؤكدا

لأقتصاد البلاد، بعد اندلاع ثورة 25 يناير 2011، بسبب اضطراب الوضع السياسي والأمني.

وكانت وزيرة السياحة المصرية، رانيا المشاط، قد أكدت في نوفمبر الماضي أن بلادها تسعى لجذب المزيد من السياح الصينيين إلى مصر، مشيرة

إلى أنه سيتم تنفيذ حملة ترويجية في السوق الصينية «المهمة والواعدة» للمقاصد السياحية المصرية.

ويعتقد جمال أن جهود الحكومة لجذب السياح الصينيين تعمل بشكل جيد، لأن عدد الزوار الصينيين لخان الخليبي يتزايد بشكل ملحوظ، مؤكدا

لأقتصاد البلاد، بعد اندلاع ثورة 25 يناير 2011، بسبب اضطراب الوضع السياسي والأمني.

وكانت وزيرة السياحة المصرية، رانيا المشاط، قد أكدت في نوفمبر الماضي أن بلادها تسعى لجذب المزيد من السياح الصينيين إلى مصر، مشيرة

إلى أنه سيتم تنفيذ حملة ترويجية في السوق الصينية «المهمة والواعدة» للمقاصد السياحية المصرية.

ويعتقد جمال أن جهود الحكومة لجذب السياح الصينيين تعمل بشكل جيد، لأن عدد الزوار الصينيين لخان الخليبي يتزايد بشكل ملحوظ، مؤكدا